سلامي من الأرض الغريبة

أنطوان أبو زيد *

عزيزي أنسي
في الذكرى الأولى لغيابك، أرسل إليكَ بعضاً من شواغلي ومنغّصاتي، لعلّك تومضُ بطيفك على الشعر فيشعّ ويحيا. عزيزي أنسي، أتُرى غالبتَ الموتَ، هذا الذي آخيتَه في لياليك ونهاراتك الجحيمية وصباحاتك النعيمية المنسوجة بقماشة الشعر الممرّدة؟ أم تراكَ تحت «شجرة الجنّة» على وصف المعرّي في رسالة غفرانه، تهيئ لنا تحتها مطرحاً لتعاودَ فيه رواية حكاياتك علينا. حكاية الحبّ القاهر الحدود، وحكاية الأنَفة المغزولة بثلاثة خيوط: العصَب، والرهافة البعيدة، وحروفهما وأصواتها ورقصاتها الطوطمية مع كلّ الزوابع والمدارات والحواسّ وآفاقها الرحيبة. أم أنك اهتممتَ قليلاً بنقلك إلى شجرة الجنّة، وأنت لطالما ربّيت غصونها الوارفة وثمارها الشافية في روح شعرك، حتى قبيل الرحيل؟
ما أسألك عنه من عليائك طارئ وعسيرٌ علينا لا عليك. فهلّا نظرتَ من فوق الى الهوة الفاصلة بين الشعر وجمهوره، فبشّرتنا بيوم زوالها، ونحن حاضرون؟ أو هلّا أرسلتَ من لدنك أجواقاً تنفخ في أسوار السلاطين كلّهم، والملوك والمترئسين جميعاً، فتنهار نظير أسوار أريحا، أسوار البغض والكراهية والقتل والتمييز والاستزلام والزبائنية والعرضحالية والانتفاخية، في السياسة والشعر والاقتصاد والثقافة على السواء؟ أو كأنك انشغلتَ الآن بأمر أهمّ وأعظم من أمانينا وكراماتنا الشخصية، كأنك معنيّ اليوم بابتكار مجلس خميس في السماء اسمه خميس الشاعرات والشعراء، إلى جانب يوسف الخال وفؤاد رفقة وعصام محفوظ وناديا تويني وغيرهم ممن سبقوك الى الشجرة واقتعدوا هنالك تحتها منتظرين قدومك الأنيق الى ندوتهم السرمدية.
عزيزي انسي، لا أسألك أمراً جللاً، ولا أودّ استصراحك عن الكنز الذي ضفرت سرّه معك وارتفعتَ. إنما

أسألك أن تقصّر عذابات البسطاء من أهل الشعر

أسألك شفاعة بسيطة، وساطة بلغة اللبنانيين التي تكرهها -أعلم ذلك- أن تقصّر عذابات البسطاء من أهل الشعر، لأن البساطة من السماء لا من دهاة البشر، ثمّ تسعى لنشر طَلع الكلمة الحرّة المجنّحة على البشر كالغبار الكوني الجديد، لتصير لهم عيون جديدة وقلوب من أقواس القزح الملونة.
وفي الختام، أقول لك، عزيزي أنسي، إننا بين نارين وبين نوعين أو أكثر من البرابرة، ومن يعش منا يخبرك عن مآل الشفاعة، وإلا فما عليك سوى استرجاع أفلام وجودك الصامتة والقديمة لتعرف. ومع ذلك، أرسل لك تحيتي وسلامي. أنا في الأرض الغريبة، لبنان، العالم.

* شاعر لبناني

مضى إلى أيامه الآتية

محمد علي شمس الدين *

عزيزي أنسي
وأنا أكتب إليك هذه الرسالة سألت نفسي إلى أين أرسلها؟ ما رقم صندوقك البريدي في الآخرة؟ ما رقم هاتفك بين فكي الصخرة؟ أي إنترنت إلهي سيحمل كلماتي إليك؟ هل أقف فوق قبرك وألمس التراب وأتكلم؟ هل أقف فوق قمة جبل الريحان وأوجه وجهي نحو قريتك في لحف جزين، وأصرخ صراخاً ما بعده صراخ؟ أمتشق ميكروفون الأبدية، وأبدأ بهذياناتي وجملي مقطعة الأوصال. كان لم يكن سيكون. مضى إلى أيامه الآتية. لن وسوف وهيهات هيهات. مات الذي مات وكل ما هو آت آت. قمر البراري في المحاق والأرض كبالون منفوخ أمام شوكة. وأنا أدور على نفسي دوراناً قاسياً وجميلاً، أتلعثم وأتردد وألتبس. وتلتقي في جسدي الشهوة والموت. فأنا متردد بين ما أراه وبين ما لا أراه، بين ما لا أراه وما يخيفني، بين ما يخيفني وأنتظر بزوغه، بين ما أنتظر بزوغه ويغيب، بين ما يغيب ولا يرحل، بين شبهي ومختلفي، بين اللذة والجنون. فأنا، يا أنسي كما تعلم، يائس من الوردة، وأنا يا أنسي كما تعلم، نازل على الريح كريشة تحت حوافر دواعش الله. لم تعد تزن الأحلام مثلما أملتها، فالكواكب كالأحذية، والدموع كفلوس البخيل، القتيل قتيل القتيل. وأفرك يدي أحياناً وأقول: لقد عرينا الجيفة معاً، وكشفنا المستور عن المقبور معاً. أنت من جهة الغرب وأنا من ناحية الشرق. شددنا اللحاف عن الغيب ولم يكن واحدنا يعرف الآخر. فجميل أن يأتي تعارفنا لحظة الموت لأن المسألة ستكون خطيرة، فما من قصيدة إلا في الموت. وحين تأكل الكائنات بعضها، فإنه لن يسلم النوع البشري إلا في القصيدة.
العرب يا أنسي حرف قاف.

* شاعر لبناني

كي تنفعني الذكرى

عصام العبدالله *

عزيزي أنسي،
الحمامة البيضاء التي ألّفتها بجناحين من شعر وشعر.
الحمامة البيضاء التي أطلقتها في التيه نحو الظنون، تاهت. ولما تأخرت في العودة حاملة جواب الأسئلة، سبقتها يا أنسي.
ولما وصلت إلى حيث لا تستقر الظنون استهدت عليك. سمعت رائحتك ولغتك وعادت منك إليك. سمعت دعاءك وأنت ترتل باسم «العضرا» وتنادي كأنك ترغب في الحمامة فجاءتك ووقفت على كتفك وكانت مريم العذراء تأخذك بيد وتمسك وجعك باليد الثانية. وقفت الحمامة على كتفك وراحت تكتب هديلها بمنقارها كأنه القلم المبين.
عزيزي أنسي،
أعرف أنك لا تنسى. ولكنني أذكّر كي تنفعني الذكرى.
تذكر عندما كنت في كنيستك؟ ولكنيستك شباك يطل على بيروت. تذكرُ؟ أنت على الشباك وأنا في الخارج أجلس في الهواء على الهواء. وتحدثنا قلت لك بأنني أريد الاعتراف. فقلت لي «أنا لست رجل دين» فأجبت وأنا لست مسيحياً أيضاً فأين المشكلة؟ واعترفت. اعترفت لك بأنني كنت مشغولاً بالجملة الواحدة والصرخة الواحدة والقبضة الواحدة. كنت مشغولاً بالأحزاب والعصبيات والسياسة بما هي طريق الوصول الى السلطة من أجل الناس.
قلت لي. أكيد من أجل الناس؟ فاعتذرت.
أخبرتك بأنني تأخرت عليك. قرأتك في الصفحة قبل الأخيرة في النهار الثقافي، كلمات.. كلمات.. كلمات وكنت مجتهداً إلى أن وقعت في الوهم الجميل والالتباس الجميل.
ابتعدت عنك وسمعت عن كتبك ودواوينك ولم أقرأ. كنت أقرأ كيف يجب علينا أن ندمر بلدنا، وما الذي يجب أن نقوم به ليصير الشعار قنبلة والحلم مدفعية.
قلت لي هوّن عليك، ما زال عندك متسع من الوقت وأنت الآن حرّ وبسيط. غفرت لك وأذنت لك بدخول كنيستي. «اقرأ باسم ربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم» ورتلتها كما يليق بالآيات الكريمة.
وقرأتك بشغف المستعجل وبانت لي إشاراتك وتفتحت أمامي البلاغة العربية عندما تصير ذكاءً خالصاً. عندما تضيف الكتابة على البلاغة جغرافيا جديدة وتستكشفها وتجربها.
وصرت أحبك وأنتبه دائماً إليك حتى وأنت الواضح المبهر.
لم أكن أحبك فقط. كنت أحترمك كثيراً. كنت أقبل بأن أكون تلميذاً. كنت أعطيك مكاني عندما تحفر وليس في المكان متسع. كنت تمانع قليلاً وتخجل ويحمر وجهك الأحمر.
أتذكر يا أنسي وكنت ترتبك وتقبل.
عزيزي أنسي،
هل أنت ضجر الآن مني. هل تسمعني الآن وأنا أكتب فتضجر، لن أصدق أنك كذلك.
سأختصر.
في الأعشية المتمددة التي كانت تقيمها لنا الشاعرة والسيدة العظيمة هدى النعماني كانت تنعقد السهرة ونبدأ كلنا اللعب. ونكون أكثر من دزينة من الرجال والنساء.
الشراب الفاخر والأكل. آخ من الأكل كنت تقول لي. وكانت هدى النعماني من أفضل من رتب مائدة.
كريمة ونظيفة ومتقنة. جرتك مرّة نحو طبق اسمه «الأرنبية» وحاولت أن تغريك بتذوقه فلم تقبل. حاولت ولم تقبل ورفضت رفضاً قاطعاً.
يا عمي وين الأرنب. شو هالأكلة الملتبسة.
وكان الشاعر شوقي بزيع والشاعر زاهي وهبة يتهامسان في الزاوية فأقول انتبه، وأهدده إذا لم تفعل ما أقول فسأطلب من الست هدى أن تضع لنا شريطاً لنسمعه من شعرها. فترجوني مش هلق بعدين. «بعد ما نروح من هون» أسألك فتضحك كأن ولداً يلعب بالكلام.
عزيزي أنسي،
إذا خطر لك أن تسألني وتقول «ما وراءكِ يا عصام» فأخبرك بأنها جملة واحدة:
كثر عدد القتلى وكثر عدد المهابيل.

* شاعر لبناني

عامٌ مضى على سفرك

محمد بنيس *

عزيزي أنسي
مرّ عام على توديعكَ وأنت تسَافر من أرْضٍ إلى أرْض. بعَينيْ نَسْر ظللتَ تنظرُ إلى العالمِ تحت قدميكَ وأنت تبعُد، تحلّق، مرتفعاً نحو العلوّ الذي اخترتَ أن يكون مكانكَ لا سواه. في يوم السّفر، جلستُ أشاهدُ جَناحيْكَ ينبسطان على جبَال ومُحيطات، وقدِ امّحَتْ فيها حدودُ الشرق والغرب. كانت لكَ الأرضُ التي تقيم فيها قصائدك، ورافقتكَ السماءُ التي كنتَ تحلق فيها حُراً من عذابات الوطن واللغة والإبداع.
عامٌ مضى على سفركَ فيما لم تغبْ عنك الأرضُ حتى اليوم، هي فجرُك ومساؤُك. وبينهما وقتُ كتابة «بدايات» لا تتذكّر ولا تُنبئ. إنها نشوة أنْ تكونَ حُراً، حُراً، فقط. أنت لا تحتاج إلى أخبار عن حياتنا. فكتابة البدايات التي تَغويك هي السرّ الذي بودّي لو تكشفُ لي عن حُروفه الأولى. نعم، بداياتُ عالم أو بداياتُ جسد أو بداياتُ سفر. ما الفرق بينها جميعاً؟ أليست المغامرة هي اسمُها المشترك؟ لكن كلمة المغامرة أصبحت مهجورة، كما تعلم. ومهما بحثنا، هنا، عن معْناها فلن نعثرُ إلا على حُطام يتباهَى به الواهمون من بيْننا.
أحياناً، يلذّ لي أنْ أسْخرَ من نفسي وأنا أردّد: إنها الحياة. كأن الحياة لم تعُدْ تقوَى على ما يلزمُها من المجهُول كي تبقى حياة. هي اليوم مجردُ شيْءٍ محفُوظ في عُلبةٍ ملفوفةٍ بورَق جذاب ومربُوطةٍ بخيْط مذهّب. يكفي منظرُ العلبة وهي تنتقل من يديْن إلى يديْن على شاشة التلفزيون. وبعْدَ هنيهة تبدو مشاهدُ كلّ يوم منْ قتِيلينَ ومُعذَّبين، لا صوتَ لهُمْ.
تأكدتُ خلالَ هذا العام أن الكلمات اشتدتْ برودتُها وأن نفسي تضاعفت غربتُها عن نفسي. من قبلُ كانت الكلماتُ تؤنسُني لأنها كانت ذاتَ معنى. لكن يبدو أنّ التفكير في المعنى أصبحَ صنْواً للاختلال العقلي أو عرَضاً من أعْراض فُقدان الذاكرة. مع ذلك أستمرُّ في اختراع فضاءات لنفْسي ولِمَنْ لا أعرفهُمْ. تصعبُ العودةُ إلى الوراءِ في حياة كالتي اخترتُها. ولا أعرف كيف أسمّي الاستمرارَ في اخْتراع كهذا. فهو ليس باتّجاه الأمام ولا ثُبوتاً في نُقطة ينتفي فيها تصوُّر المسافات والأبعاد. ألم تكتُبْ «أحبّ ذكرى الأيام التي تمشي تمشي ولا تعرفُ أنها ستنْتهي في كتَاب»؟ هل هي ذكرى ما مضى أم ذكرى ما سيأتي؟ أسألُ نفسي وأعلم أنهُمْ لا يفهمُون ما نكتُب.
أتخيلكَ الآن، بعْد عام على سفَرك، تطلُّ من نافذة على الأزرق. وأقول إنك في حوَار يبدأ مع عَوالم لا نعرف عنها شيئاً. بدوْركَ تنتبهُ إلى مكان تتخلّى عنه صفاتُ المكان، وإلى وقت يتبددُ فيه الوقت.
إلى هناكَ أبعثُ لك بتحية، كنت رددْتَ عليها ذات مرة بابتسَامةٍ مرحَة.
أخوك

* شاعر مغربي